٥٣٥

(مُحمَّدُ بن يُوسُف بن عبد اللَّه الدّمشقي الحَنَفي شمس الدين الخيَّاط)[١]

الشاعر المشهور الملقب بـ«ضفدع». ولد في رجب سنة ٦٩٣ ثلاثٍ وتسعين وستمائة، وتعانى الأدب فلازم شمس الدين بن الصائغ الدمشقي، ثم تردّد إلى الشهاب مَحْمُود، ومدح ابن صَصَرى بقصيدة أولها: [من الوافر]

أما وَلَواحظِ الحَدقِ السَّواجي لَقدْ أصبحتُ منها غَيْرَ نَاجِ[٢]

فقرضها الشهاب محمود. ثم أكثر من النظم، وكان سهلاً عليه. قال ابن حَجَر في الدُّرر: وديوانه قَدْرُ ستّة مجلدات، وهو ابن عشرين سنة. ولصاحب الترجمة سماع في الحديث من ابن الشحنة وطبقته. وكان مسلطاً على ابن نباتة كلما نظم شيئاً عارضه وناقضه، ومن ذلك أن ابن نباتة نظم تائية في مدح ابن الزَّملكاني، وجعل غزلها في وصف الخمر، عارضها وعرّض به فقال في آخر قصيدته: [من البسيط]

ما شابَ مَدْحي لكم ذكرُ المدام ولا أضْحَتْ جَوامعُ لفظي وهي حَاناتُ[٣]
ولا طَرقْتُ حِمَى خمَّارةٍ سَحَراً ولا اكْتَسَتْ لي بكاسِ الرَّاحِ رَاحاتُ[٤]

قال ابن حَجَر: ولكن أين الثَّرى من الثُّريا. ومن شعره فيمن التحى: [من الكامل]

كَمْ تظهرُ الحُسْنَ البديعَ وتدّعي وَبياضُ وَجْهكَ في النواظر مُظلمُ
هَلْ يَصدق الدّعوى لمن في وَجْههِ بالذقنِ كَذَّبه السَّوادُ الأعظمُ

قال الصفدي: كان طويل النفس في الشعر، لكن لم يكن له غوص على المعاني والاحتفال بطريقة المتأخرين، لكنه مقراض الأعراض، كان هجوه أكثر من مدحه. وقد أهين بسبب ذلك، وصُفع، وذلك أنه حجّ سنة (٧٥٥) فلم يترك في الركب أحداً من الأعيان إلّا هجاه، فأجمعوا عليه بسبب ذلك، ورفعوه إلى أمير الركب، فاستحضره وأهانه جدًّا، وحلق لحيته، وصرفه يُنادَى عليه، فانزعج من ذلك ومات كمداً. وكان مع ذلك كثير التلاوة، حجَّ مرَّاتٍ. وقدَّرتُ وفاته بعد أن رجع من الحجّ سنة ٧٥٦ ستٍّ وخمسين وسبعمائة في شهر محرم، ودفن على قارعة الطريق. قال ابن

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ٣٠٠؛ الأعلام: ٧/ ١٥٣؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ١٢٨.
(٢) السَّواجي: جمع ساجٍ، أو ساجية: هادئة، ساكنة.
(٣) شَابَ الشيءُ غيره: خالطه، فهو شائبٌ، والآخر مَشُوبٌ. الحانات: حوانيت الخمَّارين.
(٤) طَرَقَ المكان: نزله ليلاً. السَّحَرُ: آخر الليل قُبيل الفجر. الراح: الخمر. الراحات: جمع الراحة: الكَفُّ.

كثير: كان يذاكر بشيء من التاريخ ويحفظ شعراً كثيراً. وكان قد أثرى من كثرة ما أخذ من الناس بسبب المديح والهجاء، وكان الناس يخافون منه لبذاءة لسانه.

(٥٣٦)

(مُحمَّدُ بن يُوسُف بن عليّ بن يُوسُف الغَرْنَاطي أثير الدين أبو حيَّان الأندلسي)[1]

الإمام الكبير في العربية والتفسير. ولد أواخر شوَّال سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة، وتلا القراءات إفراداً وجمعاً على مشايخ الأندلس، وسمع الكثير بها وبأفريقيا، ثم قدم الإسكندرية ومصر، ولازم ابن النحَّاس، ومن مشايخه الوجيه بن الدهّان، والقطب القَسْطَلاني، وابن الأنماطي وغيرهم، حتى قال: إن عدة من أخذ عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً. وأما من أجاز له فكثير جدّاً. وتبحّر في اللغة والعربية والتفسير، وفاق الأقران وتفرّد بذلك في جميع أقطار الدنيا، ولم يكن بعصره من يماثله، قال الصفدي: لم أره قطّ إلّا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير ذلك. وكان له إقبال على أذكياء الطلبة يُعظِّمُهم وينوّه بقدرهم. وكان كثير النظم ثبتاً فيما ينقله، عارفاً باللغة. وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفنّ أكثر عمره حتى صار لا يذكر أحد في أقطار الأرض فيها غيره. وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة. وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته، وأخذ الناس عنه طبقةً بعد طبقةً حتى صار تلاميذه أئمة وأشياخاً في حياته. وهو الذي رغب الناس إلى قراءة كتب ابن مالك، وشرح لهم غامضها، وكان يقول: إن مقدمة ابن الحاجب نحو الفقهاء، وألزم نفسه أن لا يقرئ أحداً إلَّا في كتب سيبويه أو في التسهيل أو في مصنفاته. وكان هذا دأبه في آخر أيامه. ومن مصنفاته (البحر المحيط) في التفسير وغريب القرآن في مجلد، و(الأسفار الملخص من كتاب الصغار)، وشرح (التسهيل) و(التذكرة)، و(الموفور)، و(التذكير)، و(المبدع)، و(التقريب) و(التدريب)، و(غاية الإحسان بالنكت الحسان)، و(الشذى في مسألة كذا)، و(اللمحة)، و(الشذرة)، و(الارتضاء)، و(عقد اللآلي)، و(نكت الإملاء)، و(النافع)،

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤/ ٣٠٢؛ فوات الوفيات: ٢/ ٢٨٢؛ النجوم الزاهرة: ١٠/ ١١١؛ بغية الوعاة: ١٢١؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٤٥؛ كشف الظنون: ٤٩، ٦٨٨، ١٨٦٤؛ إيضاح المكنون ١١/ ٢٤، ١٠١؛ هدية العارفين: ٢/ ١٥٢؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ١٣٠؛ الأعلام: ٧/ ١٥٢.